فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام فِي الْقُرْآنِ الكَرِيمِ

رُؤيَةٌ اسْتِشرَاقِيَّةٌ

م.م. كريم جهاد الحسَّانيّ

Fatimah Al-Zahraa (Peace be Upon Her)
in The Holy Qur'an
An Oriental Vision

Asst. Lect. Karim Jihad Al-Hassani

ملخَّص البحث

بعد أن وصلنا في رحلتنا، وجولتنا المُتشعبَّة في سفينة المستشرقين، وما خطَّتْهُ أناملهم، من أفكارٍ أخرجناها من جعبتهم عن أنموذجٍ لشخصيَّةٍ نسائيَّةٍ إسلاميَّةٍ عظيمة، ألا وهي السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنت نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله؛ فهي دراسةٌ جديدةٌ تختلف عمَّا صدرَ فيها (صلوات الله وسلامه عليها) في خِزانة المكتبة الإسلاميَّة على العموم، والشيعة على الخصوص، حاولنا فيها أن نُقدِّم للقارىء الكريم بعضَ المعالم القرآنيَّة من خلال الوقوف على طائفةٍ من الآراء الاستشراقيَّة للمخزون الاستقرائيّ لتراثهم البعيد عن الأنظار.

فقدِ اعتقد بعضُ المستشرقين أصحاب الدِّراسات القرآنيّة، أنّ للزهراء عليها السلام آثارًا واضحةً في عددٍ من آيات القرآن الكريم، وأنَّها حظيت بهالةٍ من التَّبجيل، والتكريم في كتابِ الله تعالى، على الرَّغم من أنَّ اسمَها لم يردْ صراحةً في تلك الآيات، لكنَّه وردَ في التَّفسيرات، والتأويلات عند الرعيل الأوَّل من مفسِّري القرآن الكريم.

Abstract

After we reach on our journey, our manifold tour in the ship of the orientalists, and what their hands wrote of ideas, we took out of their collection about a model of a great Islamic female figure, namely Al-Saydda Fatimah Al-Zahraa, daughter of the Prophet of Islam. It is a new study that differs from what (May God's Prayers and Peace be upon Her) was issued in the treasury of the Islamic library in general, And Shiites in particular, we tried in it to present to the noble reader some of the Qur'anic milestones by standing on a set of Orientalist views on the inductive storage of their heritage that is far from sight.

Some Orientalists who have Qur'anic studies believed that Al-Zahraa (PBUH) had clear effects in a number of verses of the Holy Qur'an, and that she had an aura of reverence and honor in the Book of Allah Almighty, although her name was not explicitly mentioned in those verses, but it was mentioned in the interpretations according to the first generation of interpreters of the Holy Qur'an.

تتَمتَّع المرأةُ بمكانةٍ عظيمة في القُرآن الكريم، والقرآن الكريم جاء للإنسان بصورةٍ عامَّةٍ؛ فهو لم يأتِ خاصًّا بالرّجال دون النِّساء؛ بل شمل كِلا الجنسَين؛ لذا عندما يشرح ويُبيِّن غرضًا ما؛ فهو يشمل النَّاس كافَّة كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1]، فكلمة (النَّاس) المطروحة في القرآن لا تَلحظُ صَنفًا خاصًّا، أو مجموعة خاصَّة؛ بلْ تشمل المرأة، والرَّجل على حدٍّ سواء.

وفي بيان النِّساء اللاتي ذكرهنَّ القُرآن بمقامٍ رفيع للخلافة الإلهيَّة في بدء حدوث الإنسان، ونهايته، وفي نهاية العالم أيضًا، حين يطرح مسألة المعاد، والمواقف المشهودة حينها؛ فإنَّ التجلِّي لتلك المقامات جاء لبلوغهنَّ الكمال النهائي بموازاة بلوغ الرجال لذلك الكمال؛ فسجَّلَ نماذجَ من المقامات العرفانيَّة لبعض النِّساء اللاتي وردتْ أسماؤهنَّ على وجه التَّصريح بالاسم تارةً، مثل: مريم العذراء، وأخرى ذُكِرْنَ فيها بلا تصريحٍ بالأسماء، ومنهن: آسيا، وفاطمة الزهراء عليها السلام.

وقد أثارتْ تلك الأدوار للمرأة في القرآن الكريم جدلًا كبيرًا في العالم الغربيّ؛ فقد كان هناك مجموعةٌ من الدِّراسات المنهجيَّة حول التصريحات المُتعلِّقة بالمرأة في القرآن الكريم، يملأ الخزانة المكتبيَّة بهذه الدراسة عن تاريخ النِّساء المقدَّس، من خلال السَّرد القصصيّ في القرآن، والتّفسير، حينما انتبه المستشرقون إلى تشخيص تلك الظاهرة القرآنيَّة؛ فشرعوا في تدوين معارفهم، واتِّضاح رؤيتهم للنُّصوص من خلال الرُّجوع إلى تفاسير المسلمين.

ومن التوجُّهات المُهمَّة في تلك الدِّراسات الاستشراقيَّة ما قدَّمتهُ من إفاضةٍ للباحثة الأمريكية (جين مكوليف Jane McAuliffe)[2]، محرِّرة موسوعة القرآن لدراسة

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) جين دامن مكوليف، ولدت سنة ١٩٤٤م، حصلت على شهادة الدكتوراه في الدراسات=

الآيـات القرآنيَّة الواردة في حقِّ فاطمة عليها السلام، وأوجه الشَّـبه بينها وبـين مريم العذراء في تفاسـير المسلمين، ومن كِلا الفريقَين الشـيعة والسنَّة في بحثها المنشور في مجلة (مسيحيَّة الإسلام)، والموسوم:

(Chosen of All Women: Mary and Fatima in Qur'anic Exegesis) = (اختيار نخبة النِّساء: مريم، وفاطمة في التَّفسير القرآنيّ).

وتميَّـزت الألمانيـة (باربـارا سـتواسر Stowasser Barbara)[1] في كتابهـا: (Women in The Quran = المـرأة في القـرآن والتَّقاليـد، والتَّفسـير) بمسـحٍ مُعمَّـق لـلأدوار الأنثويَّـة في الإسـلام من خـلال دراسـتها للنُّصـوص؛ فقدَّمـتْ لنا فاطمـة عليها السلام بوصفهـا واحدةً من أفضل نسـاء العـالم في الجنَّـة كمريم العذراء، وآسـيا زوجة فرعون.

=الإسـلاميَّة من جامعة تورونتو، تقلَّدت منصب المدير الافتتاحـيّ للتواصل الوطنيّ والدوليّ، وهو قسـم تمَّ إنشـاؤه حديثًا في مكتبة الكونغرس، ومن عام ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٨م كانت عميدة كلية جورجتاون، وأستاذًا متفرِّغًا في قسم التاريخ وقسم الدراسات العربيَّة والإسلاميَّة، عملت في لجنـة الفاتيكان للعلاقات الدينيَّة مع المسـلمين، من أعمالها: موسـوعة القران، ومختارات من أديان العالم: الاسلام، وموسوعة الفكر السياسيّ الإسلاميّ، والطبري: مؤرخ مسلم في العصور الوسطى وعمله، وغيرها. ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Jane_Dammen_McAuliffe.

(١) باربرا ريجينا فراير سـتواسر، ولدت في ألمانيا، حصلت على الدكتوراه من جامعة منسـتر بألمانيا في الدراسـات الإسلاميَّة، عُيِّنت مديرة لمركز الدراسـات العربيَّة المعاصرة بجامعة جورج تاون بواشـنطن في الفـترة مـن ١٩٩٣ حتَّـى الآن، عضو مؤسِّـس في المجلـس الأمريكـيّ لجمعيَّات الدراسـات الإسـلاميَّة، وعضو في الجمعية الاسـتشراقيَّة الأمريكية، وعضو الرابطة الأمريكيَّة لمعلِّمـي اللغة العربيَّة، من أعمالها: النسـاء في القرآن وفي الحديث وفي التفسـير، والتطوُّر الدينيّ والسياسيّ. ينظر:

https://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=85.

ما نزل من السّور، والآيات بحقّ فاطمة عليها السلام

حظيت بضعةُ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بهالةٍ من التَّبجيل، والتّكريم في كتاب الله تعالى؛ فكانت قُطبَ الرَّحى في بعض آياته حاملةً وسامَ شرفٍ لأهل بيت النبوَّة، ومعدن الرِّسالة؛ فدوَّنت أقلام المستشرقين رؤيتَهم في تلك الآيات التي لم يرد فيها اسم فاطمة عليها السلام صريحًا، وإنَّما بشكلها الضمنيّ الوارد في الموروث التفسيريّ التأويليّ، كما أشارت لذلك الباحثة جين مكوليف، قائلةً: «وإنَّ اسم فاطمة لم يرد في القرآن صراحةً، ولكن وردَ في الروايات التفسيريَّة للفترات القديمة والتي تناولت تفسير قِسمٍ من آيات القرآن»[1].

ولذا سنستعرضُ في هذا المبحث أهمَّ الآيات القرآنيّة، وحسب تسلسل الأسبقيَّة في النُّزول، والواردة عن مقام السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وشخصيَّتها في المنظور الاستشراقيّ، ومنها:

أوَّلًا: سورة الكوثر

من السُّور المكِّيَّة التي جاءتْ لترتفع بروحيَّة النبيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله إلى آفاق الرَّحمة الإلهيَّة في رعاية الله له؛ إذ كانَ المشركون يعملون بكلِّ وسائلهم، وأساليبهم على إضعاف نفسه، وتدمير معنويَّاته، وإسقاط موقفه بالكلمات الجارحة النَّابية المؤذية؛

(1) McAuliffe, Jane Dammen.Encylopaedia of the Quran. (Brill, Leiden, Boston, 2002), p. 192.

فنزلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[1] لتُعلن بأنَّ الله تعالى قد أعطاهُ خيرًا كثيرًا الذي يمتدُّ في كلِّ حياته وفي ما بعده؛ فلن ينقطع ذِكرهُ، ولن يفنى نسلُه.

فقد ذكرتْ كتبُ التفسير[2]: أنَّ سبب نزول سورة الكوثر هو: أنَّ العاص بن وائل وصفَ النبيّ صلى الله عليه وآله بـ((الأبتر))، بعد أن توفِّي أحد أولاده، وكانت قريش تُسمِّي مَن ليس له ابنٌ أبتر.

وهي من جملة نقاط الضعف التي سجَّلتها الباحثة الأمريكيَّة (لندا والبرج Landa Walbaraj)[3] للرَّجل الذي يُحرم من الذُّكور في المجتمع المكِّيّ آنذاك، بقولها: «يُعدُّ حرمان النبيّ محمَّد من الذريَّة الذكور أحد نقاط الضَّعف التي كان المجتمع يصِمُه بها، وكان الرَّجل الذي ليس له ذريَّةٌ ذكور يُنعَت في مُجتمعه بـ(الأبتر)! وكانَ المكِّيُّون يسخَرون من النبيّ محمَّد على نحوٍ قاسٍ لوفاة ابنيه الصَّغيرين من خديجة القاسم، وعبد الله»[4].

وذكر المفسِّرون في تفسير الكوثر أقوالًا كثيرةً، قال الفخر الرازي: «الكوثر أولادهُ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ هذه السورة إنَّما نزلت ردًّا على مَن عابهُ عليه السلام بعدم الأولاد؛ فالمعنى: أنَّهُ

(١) سورة الكوثر: ١-٣.

(٢) ينظر: الصنعانيّ، عبد الرزَّاق (ت٢١١هـ)، تفسير القرآن، د. مصطفى مسلم محمَّد، (ط١، د.مط، السعوديَّة، ١٤١٠هـ)، ج٣، ص٤٠٢؛ الثعلبي، أحمد (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، تحقيق أبي محمَّد بن عاشور، (ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ)، ج١٠، ص٣٠٧؛ النيسابوريّ، عليّ (ت٤٦٨هـ)، أسباب نزول الآيات، (دار الاتِّحاد العربيّ للطباعة، القاهرة، ١٣٨٨هـ)، ص٣٠٧.

(٣) باحثة وأستاذه زائره في جامعة لاهور للعلوم الإداريَّة في الباكستان، لها مجموعة أعمال منها: من دون نسيان الإمام: الإسلام الشيعيّ في مجتمع محلِّي أمريكيّ.

(٤) والبرج، لندا، الأعلم بين الشيعة- دراسة في مؤسَّسة ومرجعية التقليد، ترجمة د. هناء خليف غني، (د.مط، بيروت، ١٤٣٩هـ)، ص١٩٦-١٩٧.

يُعطيهِ نسلًا يبقون على مرِّ الزمان»[١].

وهو ما أكَّدهُ الزمخشريّ وغـيره[٢]، بقوله: «أرادَ بالكوثر أولادَه إلى يوم القيامة من أُمَّته»[٣].

إنَّ من جملة دلائل إعجاز سـورة الكوثر هو الإخبـاراتِ الغيبيَّة التي تضمّضنتها، ومنها أنَّها أخبرت عن أنَّ الله سـبحانه قد أعطى نبيّهُ الكوثر من النَّسل من خلال فاطمة الزهـراء عليها السلام، وهـو ما يُلاحظهُ الدكتـور (تود لاوسـن Todd Lawson)[٤] من خلال إعطـاء فاطمـة عليها السلام الـدَّور المحوريّ الذكـوريّ للنبيّ محمَّـد صلى الله عليه وآله الذي عانـى كثيرًا من الافـتراءات المجتمعيَّة، بقوله: «أعطتْ- فاطمةُ- محمَّدًا الذي كانَ من الممكن أن يكون مجـرَّدًا من ذريَّة الذَّكر العديد من الأحفاد، إذ إنَّ واحدة من الكهنوتيَّات- الافتراءات- التي وُجِّهَت إلى محمَّد هو أنَّه كان دون ذريَّة الذَّكر، وكانَ معروفًا مثل هذا الرَّجل بشكلٍ ساخر في هذا الوسط بأنَّه (أبتر)؛ فتعرَّضَ للتهكُّم بقسوة مع هذا اللقب»[٥].

(١) الرازي، فخر الدين (ت٦٠٦هـ)، تفسير القرآن، (ط٣، د.مط، د.ت)، ج٣٢، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الطبرسّي، أبو عليّ (ت٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، تحقيق مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعـة لجماعـة المدرِّسـين بقـم، (ط١، مطبعـة مؤسَّسـة النشر الاسـلاميّ، ١٤٢١هـ)، ج٣، ص٨٥٦-٨٥٧؛ البيضـاويّ، عبـد الله (ت٦٨٢هـ)، أنـوار التنزيـل وأسرار التأويل المعروف بتفسـير البيضاويّ، إعداد وتقديم محمَّد عبد الرحمن المرعشـليّ، (ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤١٨هـ)، ص٣٤٢.

(٣) الزمخـشريّ، جـار الله (ت٥٣٨هـ)، إعجاز سـورة الكوثـر، تحقيق حامد الخفَّـاف، (ط١، دار البلاغة، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص٥٦.

(٤) مسـتشرقٌ كنـديّ، حاصـل على شـهادة البكالوريـوس سـنة ١٩٧٦م من جامعـة كولومبيا، وأكمل دراسـاته العليا في جامعة ماكجيل فحصل على الدكتوراه سنة ١٩٨٧م، وهو الآن أستاذ مشـارك في جامعة تورنتو الكندية في قسم الحضارات القريبة والوسطى، له عدد من الدراسات والبحوث. ينظر:

http://toddlawson.ca/cv.

(5) Lawson, Todd. The Authority of the Feminine and Fatima's Place in=

لذا تُعدُّ السيّدةُ فاطمة عليها السلام في التراث الإسلاميّ كما تقول الأمريكيَّة لندا والبرج المُضلعة بتكذيب هذا الافتراء ودحضِهِ عن طريقِ منح النبيّ حفيديهِ الحسنِ، والحسينِ، وأُختيهما زينب، وأُم كلثوم؛ ثمَّ كيف تحوَّلت بعد ذلك صفة الأبتر؛ فقد سجَّلَ القرآنُ الكريمُ هذا التحوُّلَ في سورة الكوثر الأقصر بين سور القرآن[1].

ففاطمةُ الزهراء عليها السلام هي الجزءُ الأعظم، والرُّكن الأقوم في الوجود النبويّ الشَّريف؛ فقد التفتَ النبيُّ محمَّد صلى الله عليه وآله الذي لم يُرزق بعقب ذكر من الصَّغير إبراهيم كما يُصوِّرهُ المستشرق المعروف (لويس ماسينيون Louis Massignon)[2] التفت إلى ابنته القادرة الوحيدة على الإنجاب؛ فأعطى هذا الوجه الأنثوي بُعدًا دينيًّا بدأ المسلمون اليوم بإدراكهُ[3].

=an Early Work by the Bab. (Online Journal of Baha'I Studies. Volume 1. 2007), p. 149.

(١) الأعلم بين الشيعة، ص١٩٧.

(٢) مستشرق فرنسّي، ولد سنة ١٨٨٣م، من أعضاء المجمعين العربيَّين في دمشق والقاهرة، تعلَّم العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة، وعني بالآثار القديمة، وأدَّت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧-١٩٠٨م) إلى اكتشاف (قصر الأخيضر)، استهواه التصوُّف الإسلاميّ فكتب عن (مصطلحات الصوفيَّة) و(أخبار الحلَّاج)، ونشر (ديوان الحلاج) مع ترجمته إلى الفرنسيَّة و(الطواسين) للحلَّاج، وتشبَّع بآرائه، تولَّى رئاسة عدَّة مجلَّات فرنسيَّة، توفِّي سنة ١٩٦٢م.

ينظر: بدر، عليّ، ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥هـ)، ص٣١-٩٩؛ الزركليّ، خير الدين (ت١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، الاعلام، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج٥، ص٢٤٧.

(٣) ماسينيون، لويس (ت١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، الغنوصيَّة عبادة فاطمة في الإسلام الشيعيّ، النص المترجم بخطِّ تقي المصعبيّ، حصلنا عليه من مركز الامام الحسين عليه السلام للمخطوطات والوثائق، الوثيقة تحت رقم (٥٣١٠ HA)، ص١.

ثانيًا: آية الاصطفاء، والاستشهاد بحديث التّفضيل

يزخرُ النصُّ القرآنيُّ، كما هو معلومٌ، بقصصِ نسوة عدَّة؛ فهذه امرأةُ لوطٍ، وأخرى امرأة فرعون، وتلك امرأة العزيز، وأُخريات كثيرات، وتميَّزت السيِّدة مريم عليها السلام كما يصفها (ميشال الحايك Michel Hayek)[1] في نظر الدِّين الإسلاميّ عن سائر النِّساء، بأن ذُكر اسمها في القرآن وحدها من بين النساء- أربعًا وثلاثين مرَّة-، وسلَّمت عليها الملائكة مُردِّدةً على الأجيال في الإسلام[2]: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

هذا الثناء، والاختيار من الله تعالى لمريم عليها السلام هو نفس الثناء، والشَّرف الذي كرَّمهُ الإسلام للسيِّدة فاطمة عليها السلام والذي جاء في تراث المفسِّرين المسلمين عند ذكرهم هذه الآيةَ، مستشهدين ذلك بحديث التَّفضيل الذي جاء على لسان النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله: «**خيرُ نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد**»[4].

(١) الأب الدكتور ميشال الحايك، ولد سنة ١٩٢٨م، كاثوليكيّ مارونيّ لبنانيّ، حصل على الدكتوراه في أصول الدين من جامعة السوربون في باريس، شاعر ولاهوتيّ ومؤرِّخ، له مؤلَّفات معروفة بالعربيَّة والفرنسيَّة، توفِّي سنة ٢٠٠٥م. ينظر:
https://al-akhbar.com/Opinion/113975/Michel Hayek.

(٢) الحايك، ميشال، المسيح في الاسلام، (ط٤، مطابع كاليغراف، بيروت، ١٤٣٠هـ)، ص٦٥.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢.

(٤) ينظر: النيسابوريّ، محمَّد (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحَين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ)، ج٣، ص١٥٤؛ ابن عبد البر، عمر (ت٤٦٣هـ)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عليّ محمَّد البجاويّ، (ط١، دار الجيل، بيروت،١٤١٢هـ)، ج٤، ص١٨٢١؛ السيوطيّ، عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ)، رقم الحديث (٤٠٨٨)، ج١، ص٦٢٩.

وبهذا فإنَّ الاتِّجاه هو الذي ذهبت إليه مُحرِّرة دائرة المعارف القرآنيَّة الأمريكيَّة جين مكوليف عند قولها: «إنَّ ما جاء في الرواية التفسيريَّة للآية ٤٢ من سورة آل عمران، بأنَّ الملائكة قالت: يا مريم إنَّ الله اصطفاكِ على نساء العالم، هو ثناء على مريم أُمّ عيسى، وهو الثناء والشرف نفسه الذي أعطاهُ الإسلام لفاطمة، وهو ارتباط للاثنين، وأنَّ سرَّ هذه العلاقة، وهذا الارتباط جاءت به كثيرٌ من الأحاديث، ومنها: إنَّ الرسول قد ذكر عددًا من النساء في العصور المختلفة واللاتي نِلنَ هذا الشرف، ومنهنَّ: مريم، آسيا (زوجة فرعون)، خديجة، فاطمة»[1].

ولئن كانَ قَدرُ المرأة أن تُدنَّس بما (يُستَقذر) من النِّساء، فإنَّ مريمَ بحسب بعض المفسِّرين لم تَحِض، والحيض دنسٌ، وبحسب آخرين لم تحِضْ إلَّا حيضَتَين[2]. وهو ما أُرتفع أصلًا من ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله، فاطمة، إذ لم ترَ في عُمرها حيضًا، ولا نِفاسًا[3].

هذا الاصطفاء، والاختيار، والتَّفضيل في القرآن والحديث لهاتَين الشَّخصيَّتين، العظيمَتَين، سعتْ إليه الباحثةُ جين مكوليف في تقديم بحثها الموسوم (اختيار نخبة

(1) Encylopaedia of the Quran, p.193.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبيّ، ج٦، ص٢١٠؛ تفسير البيضاويّ، ج٤، ص١٠.

(٣) ابن عساكر، عليّ (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عليّ شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ)،ج٥، ص٥؛ ابن حجر، أحمد (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، (ط ٢، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ)، ج٣، ص٢٣٨؛ وأخرج المحبُّ الطبريّ في ذخائره، قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ ابنتي فاطمة حوراء إذ لم تحِض ولم تطمث، وإنَّما سمَّاها فاطمة؛ لأنَّ الله عز وجل فطمها ومحبيِّها عن النار**». الطبريّ، أحمد (ت٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، حقَّقه وعلَّق عليه أكرم البوشيّ، قرأه وقدَّم له محمود الارناؤوط، (ط١، د.مط، ١٤١٥هـ)، ص٢٦؛ كما أخرج القندوزيّ قوله صلى الله عليه وآله: «**وإنَّما سُمِّيت فاطمة: البتول؛ لأنَّها تبتَّلت من الحيض والنفاس؛ لأنَّ ذلك عيب في بنات الأنبياء**».
القندوزيّ، سليمان (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، (ط١، دار اسوة، قم، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص٣٢٢.

النِّساء: مريم وفاطمة في التَّفسير القرآنيّ)، الذي نشرتهُ في مجلَّة (مسيحيَّة الإسلام) التابعة لجامعة شيكاغو الامريكيَّة سنة ١٩٨١م، وقد اتَّبعت فيه المنهج التفسيريّ المُقارن لبيان الغرض من آية الاصطفاء بالاعتماد على مجموعة من تفاسير المسلمين السنَّة، والشِّيعة على حدٍّ سواء؛ إذ استعملتْ ثلاثةً من التفاسير المشهورة لأبناء العامَّة، وهي: تفسير محمَّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، وتفسير الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ)، وتفسير المنار للمفسِّر المعاصر محمَّد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ).

أمَّا التفاسير الشيعيَّة فقد استعملتْ ثلاثةَ تفاسير أيضًا، وهي: تفسير أبي الفتوح الرازي المتوفَّى في القرن السَّادس الهجريّ، والمعروف بـ(روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن)، وتفسير الملَّا فتح الله الكاشانيّ (ت ٨٩٩هـ)، والمعروف بـ(تفسير كبير منهج الصَّادقين في إلزام المخالفين)، وتفسير الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢هـ)، والمعروف بـ(تفسير الميزان).

ففي رؤية الباحثة مكوليف إنَّ الطبريَّ قد فَهِمَ طهارة مريم عليها السلام بمعنى غير مادِّي، مُصرًّا بأنَّه ليس جسدَ مريم الذي طُهر، ولكن دينها الذي نظِّفَ من الشُّكوك، وعيوب السُّلوك الدينيّ للنِّساء الطبيعيَّات؛ أمَّا في نقطة اختيار الله تعالى لمريم عليها السلام على نساء العالمين؛ فإنّه اختار الفارق الزمنيّ؛ أي: ليس الاختيار على نساءِ كلِّ الزّمن، ولكن فقط على نساء مريم، بقوله: «اختاركِ على نساء العالمين في زمانك بطاعته إيَّاه، ففضَّلكِ عليهم»[١].

ثمَّ تُدلي مكوليف بقولها: إنَّ القسم الباقي الجوهريّ من تعليق الطبريّ على هذه الآية يتضمَّن تنوعاتٍ مُتكررة على حديث أهل البيت الذي فيه النبيّ اقتبسَ قائمة بالنِّساء البارزات على كلّ الزمن: مريم ابنة عمران، آسيا زوجة فرعون، خديجة، وفاطمة بنت محمَّد[٢].

(١) الطبريّ، محمَّد (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، (ط١، د.مط، القاهرة، ١٤١٥هـ)، ج٣، ص٢٦٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٣.

أمَّا الرازي- والقول لمكوليف- فإنَّهُ على مسار الطبريّ في اختيار الربِّ مريمَ على نساء العالَمين من خلال اقتباس حديثٍ نموذجيٍّ للنَّوع المفهرس من قِبَل الطبريّ الذي فيه النبيّ يُعلنُ مريم، آسيا، خديجة، فاطمة، من طراز النّساء الأكثر أولويَّة، لكن هو يُعارض بصورة خاصَّةٍ الشرح الزمنيّ للطبريّ الذي قيَّد نطاق تفوُّق مريم بنساء زمنِها، بقوله: «وقول من قال المراد إنَّها مُصطفاة على عالمي زمانها، فهذا تركُ الظاهر»[1]، إذ بيَّنَ الرازي أنَّ مثل هذا الفهم يتجاهل المعنى الحرفيّ للنصِّ.

ويتبَّع محمَّد رشيد رضا صاحب المنار- كما تقول مكوليف في تفسير هذه الآية- الموروثَ من تفاسير المسلمين السَّابقة؛ فيربط معًا أكثر قُربًا أفكار الاختيار الإلهيّ، والطَّهارة؛ فالتلازم لهذه العلاقة من التَّقدير كان الطهارة الماديَّة لمريم عليها السلام من الطمث، بحيث لا تجلب التلوُّث إلى المعبد. رشيد رضا يُضمِّن الملاحظة أنَّ فاطمة عليها السلام أيضاً يُقال إنَّها مُتحرَّرة من الطَّمث، بقوله: «وروي أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء، ما كانت تحيض، وأنَّها لذلك لُقِّبت بالزَّهراء»[2].

ويطرح رشيد رضا بحث المفسِّرين حول التَّرتيب الزمنيّ لأسبقيَّة مريم عليها السلام على نساء العالمين، في قوله: «على نساء العالمين»، هل المُراد به عالَمُ زمانِها؟- كما يُقال: أرسطو أفهم الفلاسفة، ويُفهم منه فلاسفة زمانه أو أُمَّته- أم جميع العالمين، فيُبيِّن رأيهُ من خلال ذكره قوله صلى الله عليه وآله: «**حَسبُكَ من نساء العالمين أربع: مريم بنتُ عِمران، وآسية بنت مُزاحِم امرأة فرعون، وخديجة بنت خُويلِد، وفاطمة بنت محمَّد**»؛ فيذهب إلى الأهميَّة المتساوية الواقعة فيما بينهنَّ[3].

(١) الرازي، فخر الدين (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، ج٧، ص٤٨.
(٢) رشيد، محمَّد رضا (ت١٣٥٤هـ)، تفسير المنار، (ط٢، دار الفكر، بيروت)، ج٣، ص٣٠٠.
(٣) المرجع نفسه، ص٣٠٠.

ثـمَّ تُعرِّج مكوليف على التفسـيرات الشـيعيَّة؛ فتبدأ بالرازي أبـو الفتوح؛ إذ ترى أنَّـه قـد خالف التفسـيرات السـنيَّة في تفضيل مريم عليها السلام على نسـاء العالمـين؛ فإنَّه يُصرُّ على التفوُّق المُطلق لفاطمة عليها السلام على نسـاء العالمين بسـبب أنَّها من جسـد الرَّسـول صلى الله عليه وآله، وما يكون جزءًا من جسد محمَّد صلى الله عليه وآله؛ فلن يُساويَ لما هو جزءٌ من عمران[1].

أمَّا الكاشـانيُّ صاحب المنهج الذي هو مثل فخر الدِّين الرازيّ السنِّي أصرَّ بتلهُّفٍ على الأفضليَّة المُطلقة لفاطمة عليها السلام على كلِّ النِّساء مثل سلفه الشيعيّ أبو الفتوح الرازي، ويؤكِّد بأنَّ كِلتا مريم، وفاطمة عذراوان[2].

وتختـم مكوليـف رؤيتها لهذه الآية بالمفسِّر الشـيعيّ المعـاصر الطباطبائيّ صاحب الميزان؛ فإنَّ مُعالجتهُ لأسـبقيَّة مريم عليها السلام على نسـاء العالمين غير تقليـديّ تمامًا؛ فهو يتَّفق مع أسـلافه بأنَّ سـبب التَّفضيل الخاصّ لمريم عليها السلام ولادة المسـيح العذريَّـة، لكنَّه يبتعد عنهـم من خلال سـحب أيِّ مقارنة مع فاطمة عليها السلام؛ فلم تكـن هنالك دلائل قد أُقيمت عـلى الأفضليَّـة المُطلقة لبنـت النبيّ صلى الله عليه وآله، بقولـه: «وأمَّا ما قيل: إنَّها مُصطفاة على نسـاء عالمـيّ عصرها؛ فإطلاق الآية يدفعه»[3]. في الحقيقـة يربط الطباطبائيّ برأي فخر الدين الرازي بصرف النَّظر عن النقاش المُتكرِّر غالبًا بأنَّ أسبقيَّة فاطمة عليها السلام هي فقط على نساء زمانها[4].

(١) الـرازي، أبـو الفتـوح (ت٥٥٢هـ)، روض الجنـان وروح الجنـان في تفسـير القـرآن، تحقيق وتصحيـح د. محمَّـد جعفر ياحقِّي و د. محمَّد مهدى ناصح، فارسيّ، (مطبعة انتشـارات آسـتان قدس رضوى، مشهد، إيران، ١٤١٣هـ)، ج٤، ص٣١٨.

(٢) الكاشّي، فتح الله (ت٨٩٩هـ)، تفسير كبير منهج الصادقين في إلزام المخالِفين، فارسّي، (مطبعة محمَّد حسن علمي، طهران، ١٣٧٤هـ)، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) الطباطبائيّ، محمَّد حسـين (ت١٤٠١هـ)، الميزان في تفسـير القرآن، (ط١، مؤسَّسـة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ)، ج٣، ص٢٨٢.

(4) McAuliffe, Jane. Chosen of all Women: Mary and Fatima in Qur'anic Exejesis. (in=

لقد استطاعت الباحثة جين مكوليف أن تقفَ على الطَّريق الذي سَلَكَهُ المفسِّرون من كِلا الفريقَين، وذلك لتحديد مقصد القرآن، أو مقاصده في آية الإصطفاء بلحاظ رجوعهم إلى الرِّوايات التي تضمَّنتها الآية.

ثالثًا: آية التَّطهير والتجلِّي بحديث الكساء

منَ الآيات البيِّنات التي نزلتْ بالخصوص في حقِّ السيّدة فاطمة عليها السلام، وبالعموم في حقِّ أهل البيت عليهم السلام آية التَّطهير، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وتجلِّيها مع زوجِها، وولدَيها من قِبَل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بكساءٍ يمانيّ أو عباءة خيبريَّة؛ فقد ذكر رواة الحديث أنَّها نزلتْ في بيت زوجة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله أُم سلمة التي رَوَت الحادثةَ، قائلةً: إنَّ هذه الآية نزلت في بيتي، إذ إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليًّا، وفاطمةَ، والحسنَ، والحُسينَ، وجلَّلهم بعباءةٍ خيبريَّة، ثمَّ قالَ:

«اللهمَّ هولاء أهل بيتي فأذهِبْ عنهم الرِّجسَ، وطهِّرهم تطهيرًا»؛ فنزل قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد هزَّ أمُّ سلمةَ الشوقَ على أن تكون معهم؛ فقالتْ لرسول الله صلى الله عليه وآله: هل أنا من أهل بيتِك؟، قال: «لا، ولكنَّك على خير»[2].

=Islamo-Christiana, Volume 7, 1981). pp. 19- 28.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) أخرجهُ رواة الحديث بطرقٍ وألفاظٍ عديدة عن أمِّ سلمة، ومنهم: ابن أبي شيبة، عبد الله (ت٢٣٤هـ)، المصنَّف في الاحاديث والآثار، تحقيق سعيد محمَّد اللحَّام، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ)، كتاب الفضائل- باب ما أعطى الله تعالى محمَّدًا- رقم الحديث (٤١)، ج٧، ص٥٠١؛ ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج٦، ص٢٩٢؛ الترمذيّ، محمَّد (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الرحمن محمَّد عثمان، (ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ)، باب ماجاء في فضل فاطمة، رقم الحديث (٣٩٦٤)، ج٥،=

وسلَكَ النبيُّ محمَّدﷺ كلَّ مسلكٍ في إعلام المسلمين بالمقصودين بآية التَّطهير بما لا يقبل الشكَّ أنَّ فاطمة، وعليًّا وابنيهماعليهم السلام هم المقصودون؛ إذ قامَ بعد نزول هذه الآية بالمرور كلَّ يوم عند صلاة الفجر أمام بيت فاطمةعليها السلام لمدَّةٍ دامتْ أكثرَ من ستَّة أشهر، وهو يُنادي: الصَّلاةَ أهلَ البيت، ويتلو آية التَّطهير المباركة[1].

وبالعودة إلى مواقف المستشرقينَ من آية التَّطهير، وموقع فاطمةعليها السلام المحوريّ منها؛ فقد انقسموا على قسمينِ؛ فقسمٌ منهم جعلَ آية التَّطهير ترتبط بفاطمةَ، وزوجِها، وبنيهماعليهم السلام المعروفين بـ(أصحاب الكساء)، وهو ما صرَّحت به الأمريكيَّة جين مكوليف؛ إذ أشارتْ إلى أنَّها من الآيات القرآنيَّة التي ربطها المُعلِّقون بفاطمةَ، والأكثر أهميَّة، والتي فُهمت بصورة طبيعيَّة في معنىً أكثر دقَّة (عائلة النبيّ)؛ أي محمَّد، وفاطمة، وزوجها عليّ بن أبي طالب، وابناهما الحسن والحسين[2].

=ص٣٦١؛ الطحاوي، أحمد (ت٣٢١هـ)، شرح مُشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ)، رقم الحديث (٧٦٨)، ج٢، ص٢٤١؛ أبي يعلى، أحمد (ت٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، (ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ)، رقم الحديث (٦٨٨٨)، ج١٢، ص٣١٣؛ الطبرانيّ، سليمان (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ، (ط٢، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت)، رقم الحديث (٢٦٦٦)، ج٣، ص٥٣؛ الحسكانيّ، عبيد الله (ت٤٥٠هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمَّد باقر المحموديّ، (ط١، طهران، ١٤١١هـ)، رقم الحديث (٧٢٠)، ج٢، ص٨٦-٩٥؛ الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، باب مناقب فاطمة، رقم الحديث (٤٧٠٩)، ج٣، ص١٥٩.

(١) ينظر: البلاذريّ، أحمد (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمَّد حميد الله، (دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ)،ج١، ص١٥٧؛ النسائيّ، أحمد (ت٣٠٣هـ)، خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، (ط١، مكتبة المعلَّا، الكويت، ١٤٠٦هـ)، رقم الحديث (١١)، ص٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص١٢٢؛ الهيثميّ، عليّ (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٤هـ)، كتاب المناقب، باب فضل أهل البيت، ج٩، ص١٦٩.

(2) Encylopaedia of the Quran, p. 193.

وفي منظـورِ الألمانيّ (شـتروطمن Strothman)[1] فإنَّ آية التَّطهـير تؤيِّدُها بعض أقـوال أصحاب أهل البيت عليهم السلام والتي تعود إلى عهدٍ متقدِّم من القرن الأوَّل للإسـلام، وهي كفيلةٌ بأن تكون داعية فاطمة عليها السلام والبقيَّة من أصحاب الكساء[2].

أمَّا القسـم الآخر من المستشرقين؛ فإنَّه يدَّعي بأنَّ آية التَّطهير تشمل زوجاتِ النبيّ محمَّـد صلى الله عليه وآله، كما أفصحَ عـن ذلك الفرنسيّ (هنـري لامنـس Henri Lammens)[3] بقولِه:

«... مشهد أكثر شـهرة في الأدبيَّات الشيعيَّة، وهو (أصحاب الكساء) حيث دُعي

(١) رودولف شـتروطمن، ولد في مدينة لنجريش غربي ألمانيا سـنة ١٨٧٧م، مستشرق متخصِّص في اللاهوتيَّات، ومهتمٌّ خصوصًا في المذاهب المسـتورة في الإسـلام، أصبح مدرِّسًـا في مونستر، وقسيسًا ومرشدًا للدراسات في شـوليفورتا، تدرَّج في الأستاذيَّة حتَّى همبورج فتقاعد عندها في سـنة ١٩٤٧م، توفِّي سـنة ١٩٦٠م، من أعماله: مذهب الزيديَّة في الإمامة، الشيعة الاثنا عشريَّة، الكنيسة القبطيَّة في العصر الحديث.
ينظـر: بـدوي، عبد الرحمـن (ت١٤٢٢هـ)، موسـوعة المسـتشرقين، (الدار العلميَّة للفلسـفة، د.ت)، ص٣٤-٣٦.

(٢) شـتروطمان، رودولـف (ت١٣٧٩هــ)، دائـرة المعارف الإسـلاميَّة، ترجمة أحمد الشنشـناويّ وإبراهيـم زكـي خورشـيد وعبد الحميـد يونـس، (دار الفكـر، القاهرة، ١٣٥٢هــ)، مج١٤، ص٦٢-٦٣، مادة (الشيعة).

(٣) الأب هنري لامنس أو هنريكوس، من أبرز مسـتشرقي الرهبان اليسوعيِّين، وخريِّـجي جامعة القدِّيس يوسـف وأسـاتذتها، المسـتشرق البلجيكيّ المولد، الفرنسيّ الجنسـيَّة، اللبنـانيّ الإقامة والوفـاة، ولد سـنة ١٨٦٢م، وغادر لبنان وهو في عمر الخامسـة عشر، وبدأ حياة الرهبنة سـنة ١٨٧٨م في دير لليسوعيِّين في لبنان، تمَّ تعينه أستاذًا للغة العربيَّة في المعهد البابويّ في روما، توفِّي سنة ١٩٣٧م، من آثاره: مهد الإسلام، ومكَّة عشية الهجرة، والمعابد قبل الاسلام، وغيرها.
ينظـر: توتـل، فردينـان (ت١٣٩٧هــ)، الأب هنـري لامنـس، مقال منشـور في مجلَّـة المشرق الكاثوليكيَّـة، بيروت، (السـنة ٣٥، ع٣٥، نيسـان- حزيران، ١٣٥٥هــ)، ص١٦٢؛ العقيقيّ، نجيـب (ت١٤٠٢هــ)، المسـتشرقون، (ط٤، دار المعـارف، القاهـرة، ١٣٨٤هــ)، ج٣، ص٢٩٣- ٢٩٥.

يومًا عليٌّ وفاطمة، والحسن والحسين، وغطَّاهم بكساءٍ، وقال: «**هؤلاءِ هم أعضاءُ عائلتي**»، ومنذُ ذلك اليوم أصبحتِ المجموعة المكوَّنة من خمسة أشخاص تُعرف (أصحاب الكساء)، أو (أهل الكساء)، ونحن نستطيع أن نعرف الغاية من ربط عائلة عليّ بمحمَّد، وتزكيتهم ويُعطيهم الحقَّ في تكوين (أهل البيت) مُستثنيًا؛ أيَّ شخصٍ آخر، وأن تكون لهم الطهارة الخاصَّة التي أعلنتْ في القرآن (سورة الأحزاب: ٣٣) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهي آية موَّجهةٌ إلى زوجات محمَّد، وليس إلى عليّ وأولاده وفاطمة الذين لم يأتِ لهم ذكرٌ في القرآن...»[1].

إلَّا انَّ المستشرق (هيوارت Huart)[2] خالفَ رأي لامنس، وأكَّد بشكلٍ صريحٍ أنَّ أهلَ البيت هم أصحاب الكساء، بقوله: «... وفي يومٍ من الأيَّام جَمَعَ النبيُّ عليًّا، وفاطمة، والحسن والحسين، وغطَّاهم بكساءٍ كان مُعتادًا أن يتغطَّى به حين يخلُد إلى النَّوم؛ ثمَّ يُصلِّي بهم، وبذلك ظهر مُصطلح أصحاب الكساء، أي: أُسرة محمَّد...»[3].

ويؤيّد ما جاء به هيوارت المراقب للرّوايات التي جاء فيها ذكر هذه المسألة

(1) The Eneyelopedia of Islam, (Leinden, E.j. BRILL 1991), Vol. 3, p. 86.

(٢) ولد البروفيسور الفرنسيّ كليمانت هيوارت ١٨٥٤م، تعلَّم في مدرسة اللغات الشرقيَّة، عيِّن مستشاراً للقنصليَّة الفرنسيَّة في دمشق سنة ١٨٧٥م، يُحسن عدَّة لغات منها العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة، أحد أعضاء المجمع العلميّ العربيّ والفرنسيّ، توفِّي سنة ١٩٢٧م، له عدَّة كتب بالفرنسيَّة منها: تاريخ بغداد، والخطَّاطين والنقَّاشين والمصوِّرين في الشرق الإسلاميّ، وقدماء الفرس والحضارة الإيرانيَّة، ونشر بالعربيَّة عدَّة كتب.
الزركليّ، الأعلام، ج٥، ص٢٣٢.

(3) Clement, Huart. Abi Talib, The Encycoipedia of Islam. (London, 1936). V. 1, p.p. 283-236.

المستشرق (جان هالبيستر Jean Halpester)[1]، قائلاً: «إنَّ ما جاء في الأخبار بأنَّ الأشخاص الذين وضع عليهم النبيّ عباءَته هم الأشخاص الأربعة: عليّ، فاطمة، الحسن، والحسين، وقال: إنَّ هؤلاء أهلُ بيتي، ويسمَّون بأصحاب الكساء»[2].

ويوضِّح الدكتور عبد الجبَّار ناجي في خصوصيَّة الآية عند الاستشراق الألمانيّ الذي وقع في خطإٍ يَصبُّ في مصلحة كشف الحقيقة التي من خلالها يتبيَّن أنَّ المقصود فيها المذكَّر، وليس المؤنَّث لتختصَّ بنساء النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؛ وإنَّما المقصود فيها أهل الكساء الأطهار، وذلك عند ترجمتهم آية التَّطهير، بقولهم:

God desires only to remove filthiness from you-ahlul-Bayt, and with cleaning to cleanse you masc plural.

وترجمتُها الحرفيَّة لترجمة المحقِّقين تكون: الله يرغب أو يريد فقط إزالة القذارة، أو الفحش عنكم- بصيغة المذكر الجمع- أهل البيت ويُطهِّر ليطهركم. وهذه الآية تفيد كنصٍّ وبيِّنة لاستخدامها بخصوص بيت (House) محمَّد[3].

وعلَّقت الإيطاليّة (لورا فاغليري Vaglieri Laura)[4] على رواية الكساء بعدما

(١) جان نورمن هالبيستر، مستشرق أمريكي، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارتفورد سنة ١٩٤٦م حول تاريخ التشيُّع في الهند، له اهتمامات في الشؤون الإسلاميَّة. ينظر موقع: https://al-akhbar.com.Jean Halpester/

(2) Halpeste, Jean. History of Shiism in India. PhD. thesis submitted to Dar Al- Tabldigh Canadan Affiliated to the religious school, Hartford, Of Media, United States of America.1946. p. 14.

(٣) نخبة من المستشرقين، إعادة قراءة التشيُّع في العراق: حفريَّات استشراقيَّة، تعريب وتقديم وتعليق د. عبد الجبَّار ناجي، (ط١، د.مط، بيروت، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص١٥.

(٤) لورا فيشيا فاغليري، ولدت سنة١٨٩٣م، حصلت على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة العربيَّة من جامعة روما سنة ١٩١٥م، وعملت بعدها على تدريس اللغة العربيَّة بالمعهد الشرقيّ بنابولي، وأصبحت مديرة القسم حتَّى وفاتها سنة ١٩٨٩م، لها عدَّة مؤلَّفات منها: الإسلام، ومطالعات=

ذكـرتْ مضمونَهـا، وربطتها بآية التَّطهير، مُشـيرةً إلى اسـتيقاظ النبيّ محمَّـدﷺ مُبكرًا لصـلاة الصُّبح، ويـدقُّ على باب بيت عليّ، وفاطمةعليهما السلام مُذكِّـرًا إيَّاهما بميقات الصَّلاة تاليًا آيةَ التَّطهير، بقولها:

«وقد بُذلت جهود لضمِّ زوجات النبيّ اللآتي تزوَّجهنَّ بعد ذلك ليكنَّ ضمنَ أهل الكسـاء، أي: ليشـملهنَّ هذا المصطلح، إلَّا أنَّ هؤلاء الخمسة ظلُّوا بشكلٍ عامٍّ هم أهل الكساء، تعني: أهل البيت»[1].

وصرَّحـت الألمانيَّـة (آنـا مـاري شـيمل Anna Marie Schimmel)[2] بـأنَّ أهل الكسـاء، أو أهل العباءة هـم الأفراد الذين دخلوا تحت عباءة الرَّسـول، والذين يعدُّون أقرب الأشـخاص إلى النبيّ، وهم عليّ، فاطمة، الحسن، والحسين، وهؤلاءِ الأشخاص الذين تحت عباءته أصبحُوا مجموعة واحدة مظهرها إلى الوجود المقدَّس المبارك[3].

وفي توجيـهٍ آخر ربطتْ آنا ماري شـيمل بين التصوُّف، وحُـبّ عترة النبيّﷺ من خـلال اعتماد حديث الكسـاء، والبردة التـي غطّى بها النبيّﷺ أهـل بيتهعليهم السلام، ونتيجةً

=عربيَّة، والمسلمون في سردينا، ولها عددٌ من البحوث والدراسات.
ينظر: حمدان، عبد الحميد، طبقات المستشرقين، (د.مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د.ت)، ص١٦٧.

(1) The Encyclopaedia of Islam, p.844.

(٢) ولدت في مدينة إيرفورت الألمانيَّة سنة ١٩٢٢، حصلت على الدكتوراه في تاريخ الأديان من كليَّة اللاهوت بجامعة ماربورغ، قامت سنة ١٩٥٢ بأوَّل زيارة لها إلى العالم الإسلاميّ، وبالتحديد إلى تركيا لتستقرَّ بها ٥ سنوات؛ لتشغل منصب أستاذة كرسي تاريخ الأديان في كليَّة العلوم الإسلاميَّة بـذات الجامعة، حصلت على عدد من الشـهادات والجوائز، توفِّيت سـنة ٢٠٠٣م، من آثارها: عالم الإسلام رحلة من الأعماق، وجناح جبريل، الأبعاد الروحية في الإسلام، وغيرها. ينظر: http://russia-now.com/ar/195884/Anna Marie Schimmel/.

(3) Schimmel, Anna. Deciphering the Signs of God: Phenomenological Approach to Islam. (SUNY Press; 1st Edition, September 30, 1994), p. 134.

لذلك استمرَّ التَّعظيمُ من قِبَل الصوفيَّة ليشمل السَّادةَ من نسل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بقولها: «وكذلك أهل بيت محمَّد كانت لهم مكانة مرموقة، فـ(الخرقة)[1] الصُّوفيَّة التي فُسِّرتْ أحيانًا بأنَّها البُردة التي كان النبيّ قد لفَّ بها أهله، وبهذا دخل الصوفيَّة في أهل بيته، وتعظيم أهل بيت النبيّ الذي هو عامٌّ في الإسلام الشيعيّ موجودٌ كذلك في الدوائر الصوفيَّة، ومن ذلك تعظيم السَّادة الذين هم من نسلِه من فاطمة»[2].

ولبيان مُختصَّات آية التَّطهير لهذه المجموعة من آل محمَّد صلى الله عليه وآله من خلال فاطمة عليها السلام كشفَ المستشرق الفرنسيّ (هنري كوربان Henry Gorbin)[3] عن إضفاء صفةِ العِصمة التي تضمَّنها النصُّ الإلهيّ، قائلًا:

«ثمَّة آية تُطهِّر المجموعة نفسَها، ومن خلال ذرِّيَّتها من إمامٍ حتَّى الإمام الثاني عشر؛ لأنَّ القرابة ليستْ وحدَها ما جعل كُلًّا من أئمَّة التشيُّع الاثني عشر إمامًا، وإنَّما

(١) الخرقة: هي ما يلبسهُ المُريد من شيخه الذي دخل في إرادته، ويرى الصوفية إنَّ لبسها يعني المُبايعة،وهي تُمثِّل عتبة دخول المُريد في صُحبة شيخه الذي يتولَّى تربيته وتهذيب أخلاقه وسلوكه.
ينظر: السهروردي، عمر (ت٦٣٢هـ)، عوارف المعارف، ضبطهُ وصحَّحهُ محمَّد عبد العزيز الخالديّ، (ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٦هـ)، ص٦٠؛ الحفنيّ، عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفيَّة، (ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٠هـ)، ص٨٩.

(٢) شيمل، آنا (ت١٤٢٣هـ)، الأبعاد الصوفيَّة في الإسلام وتاريخ التصوُّف، ترجمة محمَّد إسماعيل السيِّد و رضا حامد قطب، (ط١، دار الجمل، بغداد، ١٤٢٧هـ)، ص٢٥٦.

(٣) ولد في ١٤ أبريل ١٩٠٣م من أسرة بروتستنتيَّة في مقاطعة نورماندي شمال فرنسا، وأتقن اللاتينيَّة واليونانيَّة، كما أتقن اللغة الألمانيَّة والروسيَّة والعربيَّة والفارسيَّة، ودرس الفلسفة في كليَّة الآداب (السوربون) في باريس، وتولَّى كوربان معهد الدراسات الإيرانيَّة التي قامت بإنشائها الحكومة الفرنسيَّة سنة ١٩٤٥م، وهناك اعتنق الدين الإسلاميّ، توفِّي سنة ١٩٧٨م، له مصنَّفاتٌ عدَّة، منها: كشف المحجوب، وجامع الحكمَتَين، وعبهر العاشقين، والمشاعر لصدر الدين الشيرازيّ، وغيرها.
ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٨٢-٤٨٥.

هـذه العصمة مضمونةٌ إلى النصِّ، إنَّها الآيـة (٣٣) التي تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهنا أيضًا، يجتمع الأشخاص الخمسة في ظلِّ كساء النبيّ»[١].

رابعًا: آية المُباهلة

من آيات الله تعالى التي أعلنتْ سموَّ مكانةِ السيِّدة فاطمة عليها السلام، وعظيم منزلتِها عند الله تعالى آيـة المباهلة، بقوله تعـالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[٢]؛ فهـي واحدةٌ من آياتٍ كثيرةٍ من بين النُّصوص القُرآنيَّة التي تحكي مفاخـرَ أهل البيت عليهم السلام، والسـيِّدة فاطمة عليها السلام من أهل هذا البيـت عليهم السلام الذين هم عِدلُ القـرآن بلا مُنازع، وقد أجمعَ المفـسِّرون من كِلا الفريقَين أنَّ الآية الكريمة نزلتْ في أهل بيت النبوَّة، ومعدن الرَّحمة[٣].

---

(١) كوربان، هنري (ت١٣٩٨هـ)، عن الإسـلام في إيران مشـاهد روحيَّة وفلسفيَّة- التشيُّع الاثنا عشري، ترجمة وتحقيق نوَّاف الموسـويّ، (ط١، دار النهـار، بيروت، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص٩٨-٩٩.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) ينظر: الثعلبيّ، الكشف والبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص٨٥؛ الطوسيّ، محمَّد (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، (ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسـلاميّ، قم، ١٤٠٩هـ)، ج٢، ص٤٨٤؛ السمعانيّ، منصور (ت٤٨٩هـ)، تفسير السمعانيّ، تحقيـق ياسر بـن إبراهيم وغنيم بن عبَّـاس بن غنيـم، (ط١، دار الوطن، الرياض، السـعوديَّة، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٣٢٧؛ الطـبرسيّ، أبي عـليّ (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسـير القران، تحقيق لجنة من المحقِّقين، (ط١، مؤسَّسـة الأعلميّ، بيروت، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص٣٠٩؛ تفسير الرازي، ج٨، ص٨٥؛ تفسير البيضاويّ، ج٢، ص٤٧؛ ابن كثير، إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (تفسـير ابن كثير)، تقديم يوسف المرعشـليّ، (دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ)،=

وتبرزُ عند المستشرقين (آية المباهلة) من بين الآيات القُرآنيَّة، بوصفها أنموذجًا تمَّ اختيارُهُ من قبلهم لتَبيين ما آلَ إليه الدور الفاطميّ في مصداقيَّته الرَّائعة، وإشراقته العريضة.

فـ(البَهل)، والابتهال في الدُّعاء هو الاسترسال فيه، والتضرُّع[1]، نحو قوله تعالى فيما وردَ في جزء من آية المباهلة: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ومن هذا المعنى قول الشاعر لبيد بن ربيعة:

في قُـــرومٍ ســـادةٍ مِـــن قومهِ
نَظرَ الـدّهـرُ إليهم فابتهل[2]

وذكر صاحب المَجمَع بأنَّ معنى الابتهال: هو الدَّعوة من الله باللعنة على الظَّالمين[3]، وعليه يكون معنى المباهلة في لفظ (نَبتهل) في النصِّ الشَّريف أن يُطلِق كلٌّ من الجانبَين المُتجادلَين حَولَ قضيةٍ ما في مكانٍ ما، ويتضرَّع إلى الله بالدُّعاء مُبتهلين إليه أن يفضحَ الكاذِبَ منهُما، ويلعنهُ، ويُنزل عليه عقابه.

وقد أفاضَ المستشرقُ لويس ماسينيون البحثَ في معاني، ودلالات المباهلة في القوانين الدَّوليَّة للعهود القديمة كالبابليَّة، والصيغ المُتداولة لها عند السَّاميِّين، وغيرهم؛ ثمَّ في أصلها القرآنيّ عند الجماعات الإسلاميَّة، وذلكَ في بحثه باللغة الفرنسيَّة الموسوم:

=ج١، ص٣٧٨؛ السيوطي، جلال الدين(ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار المعرفة، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٣٩.

(١) ينظر: الراغب الأصفهانيّ، الحسين (ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، (ط٢، مطبعة سليمان زاده، قم، إيران، ١٤٢٧هـ)، ص١٤٩.

(٢) العامريّ، لبيد (ت٤١هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، تحقيق دار صادر، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ص١٩٧.

(٣) الطريحيّ، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسينيّ، (ط٢، جابخانه طروات، طهران، د.ت)، ج٥، ص٣٢٧.

(La Mubahala, Etude sur ia Proposition d›ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine = المباهلة: دراسةٌ لدعوة النبيّ محمَّد نصارى بني الحارث من نجران إلى المباهلة، سنة ١٠هـ/ ٦٣١م في المدينة).

نزلتِ الآيةُ الكريمةُ في حادثة تأريخيَّة بالغة الخطورة، واستثنائيَّة المنظر كما يصفها الفرنسيّ هنري كوربان[١]، جرتْ بين النبيّ ﷺ وزعماء النَّصارى الرَّوحانيِّين، حينما قدِمُوا على رسول الله ﷺ ليُناظروه في الإسلام، وبعد حديث دارَ بينهما اتَّفقوا معه على الابتهال إلى الله أن يحلَّ عذابه، ولعنته على الكاذِبين.

وموجز الحادثة التي يسردُها الفرنسيّ ماسينيون تُمثِّل لنا رؤية الآخر عن تلك الواقعة، وشخوصها التي لم نعهدْها عند مؤرِّخينا، قائلًا:

«أ. لمَّا أن امتدَّت الدولة الإسلاميَّة الناشئة إلى اليمن، أرسلتْ جمهوريَّة نجران النصرانيَّة وفدًا سياسيًّا إلى المدينة في شوال سنة ١٠هـ، وكان يتكوَّن من ٧٠ فارسًا منهم ١٤ من الأعيان، وثلاثة رؤساء: العاقب (نقيب المهن المدنيَّة)، والسيِّد (مدير القوافل)، والأسقف (الأسقف ومفتش المدارس والأديرة، وعلى اتِّصال بالدَّولة المسيحيَّة)، وجاء هذا الوفد للمفاوضة مع محمّد.

ب. وكانوا يرتدونَ الدِّيباج؛ واتَّصلوا بالشَّعب؛ وسمحَ لهم النبيُّ بالدُّخول في مسجدِهِ للصَّلاة مُتَّجهينَ قِبَل المشرق.

فلمَّا اجتمعُوا مع النبيّ لامَهُمْ محمَّدٌ على الاعتقاد بألوهيَّة المسيح، ودعاهم إلى الإسلام، واحتدمتِ المُجادلة؛ فاقترحَ عليهم النبيُّ، مُستلهمًا الآيةَ ٥٤ من سورة آلِ عمران، المباهلة بأن يتلاعنُوا صبيحةَ الغد ٤ شوال سنة ١٠هـ (١٥ يناير سنة ٦٣١م)»[٢].

(١) عن الإسلام في إيران- مشاهد روحيَّة وفلسفية، ج١، ص٩٨.

(2) Massignon, Louis. Opera Minora. La Mubahala,Etude sur ia Proposition=

وفي مشهد العرْض هذا فإنَّ مُعطيات التقارُب الإسلاميّ المسيحيّ واضحةٌ بالنِّسبة لماسينيون، كما أشارَ إليه في بحثٍ آخر، قائلًا:

«عـرضٌ لم يُنجـزْ مع حصول تسـوية ديبلوماسـيَّة هـي أُولى (اتِّفاقات التَّسـليم) الإسـلاميَّة المسـيحيَّة، وهي مُصالحة تترك للمسـيحيِّين اسـتقلالهم الذاتيّ المؤسَّسـاتيّ، والقانـونيّ مقابـل الجزية السـنويَّة التـي تتضمَّن كسـوة الكعبة من الـبروكار[١]، ذلك العرض ما هو إلاَّ دليلٌ ممتازٌ على صدق وسلامة نيَّة النبيّ»[٢].

ولـمَّا حانَ الوقت في صبيحة اليوم الثاني اختار النبيُّ محمَّد صلى الله عليه وآله للمباهلة أفضلَ الخلق عنـد الله وأكرمهم، وهم عائلته من أهل بيته التي تتضمَّن فاطمة عليها السلام بوصفهم شـهودًا ضامنين[٣]، كما أوضَحت ذلك الإميريكيَّة جين مكوليف في موسوعتها القرآنيَّة[٤].

أمَّـا ماسـينيون فجعلهم كرهائـن نتيجة الاختيـار النبويّ على كلامـه، ويؤكِّد أنَّ فاطمة عليها السلام هي النَّموذج الأمثل للنبيّ صلى الله عليه وآله من دون نسائهِ، قائلًا:

«وقد اختار النبيُّ اثنين كرهائن[٥] على كلامه هما: هو نفسه (أنفسنا = هو، وصهره

=d'ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine. (Beirut: DarAl- Maaref, liban,1963). p. 11.

(١) نوع من أنواع الأقمشة يُصنع في دمشق من الحرير والفضة والذهب.

(2) L'oratoire de Marie A L'aQca,vu sous Le Voile de Deuil de Fatima,1956. p. 611.

(٣) إنَّ تعيين شـخصيَّات المباهلة ليس عفويًّا أو ارتجاليًّا، وليـس اختيار النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنَّما هم اختيار إلهيّ بقوله صلى الله عليه وآله حين سُـئِل عن هذا الاختيار: «**لو علم الله تعالى أنَّ في الأرض عبادًا أكرم من عليّ وفاطمة والحسـن والحسـين لأمرني أن أباهل بهم، ولكـن أمرني بالمباهلة مع هـؤلاء فغلبت بهم النصارى**».

ينظر: القندوزيّ، ينابيع المودَّة، ج٢، ص٢٦٦.

(4) Encylopaedia of the Quran, p. 193.

(٥) الرهينة هنا: جمع رهائن، تقول: «أنا رهينة بعملي وبما قدَّمت»: ماخوذ به وضامن له، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. (المدثر: ٣٨).=

عليًّا زوج ابنته فاطمة (أمُّ أبيها)، وولَدَين (أبناءنا: حفيداه)، وواحدة من نسائنا فاطمة (وكان ينبغي أن تكون امرأةً ولودًا)، ولم يكن ممكنًا أبدًا لمحمَّد أن يختار إحدى نسائه، حريمه العاقرات؛ وفاطمة كانت تكفي؛ إذ تُمثِّل ثلاثة أجيال كونها (أمُّ أبيها)، وأمُّ أحفاده أيضًا»[1].

ويُضفي ماسينيون على هذا الاختيار بأنَّه وكالة قانونيَّة علنيَّة مُعطاة من قِبَل النبيﷺ لهؤلاء الخمسة، واقترنَ الحُبُّ والبغضُ عند المسلمين عند انبثاق هذا اليوم المشهود بالمباهلة، قائلاً:

«وتعود هذه الوكالة، كما يؤكِّد التشيُّع، ويوافقهُ القرآن، والمُعطيات التاريخيَّة إلى يوم المباهلة[2]... ومُذ ذاك انتقلت إليهم بهذه الوكالة القانونيَّة الرَّسميَّة كلُّ آمال العدالة، والحُبّ الحماسيّ الذي خصَّ الصَّحابة به النبيّ، وكلُّ الثأر، والكراهِيَة التي تَغذَّى عليها الأمويُّون القريشيُّون ضدَّ مؤسِّس الإسلام أيضًا؛ بسبب أمواتهم من عَبَدَة الأصنام الذين قُتلوا ببرود[3] يوم بدر»[4].

ثمَّ أقبلَ النبيُّ محمَّدﷺ بهؤلاء الخمسة من أهل بيتهعليهم السلام إلى ساحة الاحتفال، وعليه مُرط[5] من شعرٍ أسود، وقد احتضنَ الإمامُ الحسينعليه السلام، وأخذَ بيده الإمام الحسنعليه السلام،

=ينظر: مجمع البحرين، ج٦، ص٣٥٩، مادة: (رهن)

(1) Opera Minora. L'oratoire de Marie A L'aQca,vu sous Le Voile de Deuil de Fatima. 1956. p.611; L'experience Muslmana de la Compassion Ordonnee A L'universel. A Propos de Fatima, et de Hallaj. 1955. p. 645.

(٢) ما وردَ عن ماسينيون غير دقيق، فمعيَّة أهل البيتعليهم السلام لم تنبثق عن ذلك اليوم، وإنَّما منذ أمدٍ بعيد من هذا، ومثال ذلك في يوم خيبر (٧هـ)، ومنذ آية القربى، وغير ذلك.

(٣) لم يقتلوا آل أميَّة وآل أبي سفيان ببرودٍ يوم بدر، وإنَّما قتلهم الحقّ وكُفرهم بالله ونبيه.

(٤) ماسينيون، لويس (ت١٣٨١هـ)، آلام الحلاَّج: شهيد التصوُّف الإسلاميّ، ترجمة الحسين حلاَّج، (ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ)، ص٢٧٣.

(٥) المَرْطُ: ملاءة تلقى على الرأس والكتفَين وتصل إلى نصف الظهر، تشبه الشماغ أو الكوفيَّة.=

وفاطمة عليها السلام تمشي خلفَه، وعليٌّ خلفها، وهو يقول: **إذا دعوت فأمِّنوا**.

وخـرجَ وفدُ النَّصـارى يتقدَّمهم السـيِّد والعاقـب، ومعهم فرسـان بني الحارث على خيولهم بأحسـن هيـأة، وأروع منظـر، واحتشـدت الجماهير، واشرأبَّـت الأعناق تُراقب الحادثَ الخطير، وسـادَ الوجومُ، وصارَ الكلام همسًـا، ولـمَّا رأتِ النَّصارى هيأة الرَّسـول صلى الله عليه وآله مع أهل بيته عليهم السلام وهي تملأ العيون إجـلالًا، وإكبارًا، امتلأت قلوبُهم رُعبًا وهلعًا، وأمَّا المسـلمون الموالي (من غير العرب) كما يقول ماسينيون: «فقد شاهدوا تجلِّي المجد الإلهيّ، وهو يُحيط بالخمسة أصحاب الكساء»[1].

ثـمَّ جثا النبيُّ صلى الله عليه وآله للمباهلة بخضوعٍ وخشـوعٍ لله تعالى، وتقدَّم السـيِّد، والعاقب، وقد سرتِ الرّعدةُ في نفوسـهم حين رأوا فاطمة عليها السلام قد اصطحبها النبيُّ الكريم صلى الله عليه وآله مع ولديها، قائلين: يا أبا القاسم، بمن تُباهلنا؟.

فأجابَهـم النبـيّ صلى الله عليه وآله: **أُباهلكم بخير أهـل الأرض، وأكرمهم عند الله، وأشـارَ إلى الإمام عليّ عليه السلام وبضعته، وسِبطَيه**.

ثمّ انبريا يسـألانه بلهفةٍ قائلين: لِمَ لا تُباهلنا بأهل الكرامة، وأهل الشّـارة ممّن آمنَ بك واتبعك؟.

فأجابهم صلى الله عليه وآله: **أجل، أُباهلكم بهؤلاءِ خير أهل الأرض، وأفضل الخلق**.

عندهـا خـافَ الأسـقفُ على النَّصـارى مـن الهـلاك إن باهلَهم النبـيّ صلى الله عليه وآله؛ فقال لأصحابـه وهـو فزع: يا معـشر النصـارى إنِّي لأرى وجوهًا لو شـاء الله أن يُزيلَ جبلًا

=ابن منظور، محمَّد (ت٧١١هـ)، لسـان العرب، (د.مط، قم، ١٤٠٥هـ)، ج٧، ص٣٩٩، مادَّة (مرط).

(1) Opera Minora. La Mubahala, Etude sur ia Proposition d'ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine. p. 12.

مـن مكانه لأزاله بهم؛ فـلا تُباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة[1].

وخضعوا لما اشـترطهُ النبيّ صلى الله عليه وآله، التي هي شروطٌ لا تنتهي بين الطَّرفَين بموت نبيّ الإسـلام؛ بل هي شروطٌ، وعقودٌ دائميَّة؛ لوجود الأبدال كما يُسـميِّهم ماسينيون؛ فهم الخلفاء الحقيقيُّون، بقوله:

«إنَّ هـذا الإتفاق مع أهل نجـران كان الوحيد الذي لم يكن من شـأن موت محمَّد أن يُبطلـهُ، وهذا؛ لأنَّه شـارك فيه ضامنون عاشـوا بعـده، وحافظوا عليـه، ولم يكونوا مجرَّد شـهود عـلى صحَّة توقيعه ماديًّا، إبَّان حياته؛ بل كانـوا أيضًا أبدالًا حقيقيِّين، وهم آل محمَّد، صاروا أبدالًا عنه بنُطقٍ سابقٍ لصيغَة شعائريَّة»[2].

وعـلى أيِّ حال، فقد أجمعَ المؤرِّخون والمشـتغلونَ بالحديث، وأهل العلم عامَّة، إلَّا من شـذَّ منهم، بأنَ المقصودَ من لفـظ ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ هي فاطمة عليها السلام[3]، كما أكَّدَ ذلك الفرنسيُّ ماسـينيون، واشـتغلَ بدوره في البحث، والإسـهاب عن سند الرُّواية في

(١) ينظر: الزمخشريّ، جار الله (ت٥٣٨هـ)، الكشَّاف عن حقائق لتنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ)، ص٤٣٤؛ الزيلعيّ، عبد الله (ت٧٦٢هـ)، تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السـعد، (ط١، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ)، ج١، ص١٨٦.

(2) Opera Minora. La Mubahala, Etude sur ia Proposition d'ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine. p.8.

(٣) ينظر: النيسابوريّ، مسـلم (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تعليق وإشراف محمَّد فؤاد عبد الباقي، (ط١، دار إحيـاء التراث العـربيّ، بيروت، ١٣٧٤هـ)، كتاب فضائـل الصحابة، باب من فضائل عليّ، رقم الحديث (٣٢)، ج٤، ص١٨٧١؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج١، ص٣٣٠؛ الترمذيّ، سنن الترمذيّ، باب تفسـير القران عن رسـول الله، رقم الحديث ٤٠٨٥، ج٤، ص٢٩٣؛ ابن مردويه، أحمـد (ت٤١٠هـ)، مناقب عليّ بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليّ، جَمَعه ورتَّبهُ وقدَّم له عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، (ط٢، مطبعة دار الحديث، قم، ١٤٢٤هـ)، ص٢٢٦.

مصادر المسلمين[١].

فلا شكَّ في أنَّ حادثة المباهلة وحدَها بما مثَّلتهُ من محوريَّة، وارتكاز للإسلام، كافية لبيان مقدار الأهميَّة المركزيَّة التي كانت تُمثلها فاطمة عليها السلام في المنظور الإسلاميّ، والذي قدَّمهُ النبيُّ صلى الله عليه وآله هو أنموذج مثاليّ، وبالتالي قُطبٌ ومحورٌ للمنظومة الدينيَّة، وهذا الموقع شخّصهُ المستشرق (روث روي Ruth Rowe)[٢]، بقوله:

«إنَّ هذا القُرب الرُّوحيّ الفعليّ من النبيّ محمَّد أقدس شخصٍ في الإسلام، أسهمَ في ظهور فاطمة كشخصيَّة دينيَّة محوريَّة»[٣].

(1) Opera Minora. La Mubahala,Etude sur ia Proposition d'ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine. p. 10.

(٢) مستشرق امريكي معاصر، حاصل على الدكتوراه من جامعة أريزونا الامريكية، له اهتمامات في دراسة ما يتعلق بالتاريخ الاسلامي.

(3) Rowe, E. Ruth. Lady of The Women of The Worlds; Exploring Shi'i Piety and Identity Through a consideration of Fatima al-Zahra. (A thesis Submitted to the Faculty of the Department of Near Eastern Studies In Partial Fulfillment of the Requirements For the Degree of Master of Arts. In the Graduate College of The University of Arizona. 2008). p.41.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوَّلًا: المصادر العربيَّة

١. ابن أبي شيبة، عبد الله (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨ م)، المصنّف في الأحاديث والآثار، تحقيق سعيد محمَّد اللحام، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢. ابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، لسان الميزان، (ط٢، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

٣. ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، (دار صادر، بيروت، د.ت).

٤. ابن عبد البرِّ، عمر (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عليّ محمَّد البجاويّ، (ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٥. ابن عساكر، عليّ (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عليّ شيري، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٦. أبي يعلى، أحمد (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م)، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، (ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٧. البيضاويّ، عبد الله (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاويّ، إعداد وتقديم محمَّد عبد الرحمن المرعشليّ، (ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٨. الترمذيّ، محمَّد (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الرحمن محمَّد عثمان، (ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٩. الثعلبيّ، أحمد بن محمَّد (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)، الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، تحقيق أبي محمَّد بن عاشور، (ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

١٠. الرازي، أبو الفتوح حسن بن عليّ (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح د. محمَّد جعفر ياحقِّي و د. محمَّد مهدي ناصح، فارسيّ، (مطبعة

انتشارات آستان قدس رضوى، مشهد، إيران، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
١١. الـرازي، فخـر الدين محمَّـد بن عمـر (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، تفسـير القـرآن، (ط٣، د.مط، د.ت).
١٢. الـرازي، فخـر الدين (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، التفسـير الكبير ومفاتيـح الغيـب، (دار الفكر، بيروت، د.ت).
١٣. الزمخـشريّ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، إعجاز سـورة الكوثر، تحقيق حامد الخفَّاف، (ط١، دار البلاغة، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
١٤. السـيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بـكـر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، الجامـع الصغـــير فـي أحاديث البشير النذير، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
١٥. الصنعانيّ، عبد الرزَّاق بن همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٦ م)، تفسـير القرآن، د. مصطفى مسـلم محمَّد، (ط ١، د.مط، السعوديَّة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
١٦. الطبرانيّ، سـليمان (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ، (ط٢، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت).
١٧. الطـبرسيّ، أبي عـليّ الفضـل بـن الحسـن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، تفسـير جوامـع الجامـع، تحقيق مؤسَّسـة النـشر الإسـلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسـين بقـم، (ط١، مطبعة مؤسَّسـة النشر الإسلاميّ،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
١٨. الطبريّ، أحمد (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، ذخائـر العقبى في مناقب ذوي القربى، حقَّقه وعلَّق عليه أكرم البوشيّ، قرأه وقدَّم له محمود الأرناؤوط، (ط١، د.مط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
١٩. الطـبري، محمَّد (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القـرآن، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، (ط١، د.مط، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
٢٠. الطحاويّ، أحمد بن محمَّد بن سـلمة (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، شرح مُشـكل الآثار، تحقيق شـعيب الأرنؤوط، (ط١، نشر مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
٢١. الـكاشيّ، فتح الله بن شـكر الله (ت٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، تفسـير كبير منهج الصادقـين في إلزام المخالفين، فارسيّ، (مطبعة محمَّد حسن علمي، طهران، ١٣٧٤هـ/ ١٩٩٥م).
٢٢. النيسـابوريّ، عليّ بن أحمد الواحديّ (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، أسباب نزول الآيات، (دار الاتِّحاد العربيّ للطباعة، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
٢٣. النيسـابوريّ، محمَّـد (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المسـتدرك على الصحيحَين، تحقيـق مصطفى عبد القادر عطا، (ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

ثانيًا: المراجع العربيَّة

٢٤. بدر، عليّ، ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)..

٢٥. بدوي، عبد الرحمن (ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، موسوعة المستشرقين، (الدار العلميَّة للفلسفة، د.ت).

٢٦. الحايك، ميشال، المسيح في الإسلام، (ط٤، مطابع كاليغراف، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٢٧. الحفنيّ، عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفيَّة، (ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٢٨. حمدان، عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، (د.مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د.ت).

٢٩. رشيد، محمَّد رضا (ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، تفسير المنار، (ط٢، دار الفكر، بيروت).

٣٠. الزركليّ، خير الدين (ت١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، الأعلام، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٣١. الطباطبائيّ، محمَّد حسين (ت١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، الميزان في تفسير القرآن، (ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٢. الطريحيّ، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسينيّ، (ط٢، جابخانه طروات، طهران، د.ت).

٣٣. العقيقيّ، نجيب (ت١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، المستشرقون، (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٣٤. القندوزيّ، سليمان (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، (ط١، دار أسوة، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م).

٣٥. نخبة من المستشرقين، إعادة قراءة التشيُّع في العراق: حفريات استشراقيَّة، تعريب وتقديم وتعليق د. عبد الجبَّار ناجي، (ط١، د.مط، بيروت، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

ثالثًا: المراجع المترجَمة

٣٦. شتروطمان، رودولف (ت١٣٧٩هـ)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة أحمد الشنشناويّ وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، (دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

٣٧. شيمل، آنا (ت١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، الأبعاد الصوفيَّة في الإسلام وتاريخ التصوُّف، ترجمة محمَّد إسماعيل السيِّد ورضا حامد قطب، (ط١، دار الجمل، بغداد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣٨. كوربان، هنري (ت١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، عن الإسلام في إيران مشاهد روحيَّة وفلسفية- التشيُّع الاثنا عشري، ترجمة وتحقيق نوَّاف الموسويّ، (ط١، دار النهار، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
٣٩. ماسينيون، لويس (ت١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، آلام الحلَّاج: شهيد التصوُّف الإسلاميّ، ترجمة الحسين حلَّاج، (ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
٤٠. والبرج، لندا، الأعلم بين الشيعة- دراسة في مؤسَّسة ومرجعيَّة التقليد، ترجمة د. هناء خليف غني، (د.مط، بيروت، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م).

رابعًا: الدوريَّات

٤١. توتل، فردينان (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، الأب هنري لامنس، مقال منشور في مجلَّة المشرق الكاثوليكيَّة، بيروت، (السنة ٣٥، ع٣٥، نيسان- حزيران، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م).

خامسًا: المراجع الأجنبية

42. McAuliffe, Jane Dammen. Encylopaedia of the Quran. (Brill, Leiden, Boston, 2002).
43. Lawson, Todd. The Authority of the Feminine and Fatima's Place in an Early Work by the Bab. (Online Journal of Baha'I Studies. 2007).
44. The Eneyelopedia of Islam. (Leinden. E.j. BRILL 1991).
45. Clement, Huart. Abi Talib,The Encycoipedia of Islam. (London, 1936).
46. Halpeste, Jean. History of Shiism in India. submitted PhD. thesis to Dar al-Tabldigh Canadan Affiliated to the religious school, Hartford. (Of Media, United States of America. 1946).
47. Schimmel, Anna. Deciphering the Signs of God: Phenomenological Approach to Islam. (SUNY Press; 1st Edition, September 30, 1994).
48. Massignon, Louis. Opera Minora. La Mubahala, Etude sur ia Proposition d'ordalie faite Par ie Prophete Muhammad aux chretiens Baiharith du Najran en l'an 10/63i a Medine. (Beirut: DarAl- Maaref liban, 1963).
49. L'oratoire de Marie A L'aQca,vu sous Le Voile de Deuil de Fatima. (1956).
50. Opera Minora. L'oratoire de Marie A L'a Qca,vu sous Le Voile de Deuil

de Fatima. (1956). L'experience Muslmana de la Compassion Ordonnee A L'universel. A Propos de Fatima, et de Hallaj. (1955).

51. Rowe, E. Ruth. Lady of The Women of The Worlds; Exploring Shi'i Piety and Identity Through a consideration of Fatima al-Zahra. (A thesis Submitted to the Faculty of the Department of Near Eastern Studies In Partial Fulfillment of the Requirements For the Degree of Master of Arts. In the Graduate College of The University of Arizona. 2008).

سادسًا: الدوريات الأجنبية

52. McAuliffe, Jane. Chosen of all Women: Mary and Fatima in Qur'anic Exejesis. (in Islamo-Christiana, Volume 7, 1981).

سابعًا: مواقع الأنترنت

53. https://en.wikipedia.org/wiki/Jane_Dammen_McAuliffe.
54. https://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=85.
55. http://toddlawson.ca/cv.
56. https://al-akhbar.com/Opinion/11397556-/Michel Hayek.
57. https://al-akhbar.com/Jean Halpester.
58. http://russia-now.com/ar/195884/Anna Marie Schimmel.